الخطاب الايديولوجي المتطرف في الرواية الحديثة (أفاعي النار) لـ جلال برجس ، ورواية (عشيق المترجم) لـ جان دوست إنموذجاً

Extremist Ideological Discourse in the Modern Novel "Afa'ī al-Nār" by Jalal Barjas and "ʿAshīq al-Mutarjim" by Jan Dost as Models

م. م. زمن محمد مخيسير

قسم اللغة العربية - كلية التربية للبنات - جامعة الشطرة

M.M. Zaman Mohammed Mukhaysir

Department of Arabic Language / College of Education for Women / University of Al-Shatra

zamen.mouemed.meakisear@utq.edu.iq

الملخص:

بوصف الفن الروائي اتجاها مؤثرا فكان عليه مهام يؤديها في مواجهة التطرف سواء أكان تطرف فكري أو ما يتولد عنه من سلوكيات متطرفة منها التعصب والعنف الأمر الذي يؤدي الى مزيد من الصراعات التي تفكك المجتمع وتسهم بتدهوره وانحداره من الناحية الفكرية والعقائدية , وتكمن هذه المواجهة عبر توجيه النقد لهذا الفكر في صياغة فنية درامية جمالية , وبالتالي تحدث المفارقة عند المتلقي بين الجميل وهو السرد الروائي والقبيح هو الفكر المتطرف .

الكلمات المفتاحية : التطرف , الايديولوجية , الرواية , الخطاب , النسق .

Abstract

As a highly influential artistic genre, the novel has assumed significant responsibilities in confronting extremism, whether ideological in nature or manifested through extremist behaviors such as fanaticism and violence. Such behaviors lead to further conflicts that fragment society and contribute to its intellectual and

ideological deterioration and decline. This confrontation is realized through directing critical discourse against extremist thought within an aesthetic, dramatic, and artistic narrative structure. Consequently, a paradox emerges for the reader between the beautiful—represented by the novelistic narration—and the ugly—embodied in extremist ideology.

Keywords: Extremism, Ideology, Novel, Discourse, Structure

مقدمة :

أضحت الرواية في الوقت الحاضر ضرورة فنية تحمل قضايا وتوجهات إنسانية وروحية وجمالية داعية للتحرر من القيود والانساق والقواعد الاجتماعية والثقافية المفروضة ايديولوجيًا إذ كان للرواية الحديثة بوصفها جنساً ادبيا ثائرًا دوراً في تحقيق التقدم والانتصار والقضاء على مثل هذه القيم المخلة فتمكنت الرواية في جانب كبير منها من تحقيق التوافق مع مبادئ الدين والثقافة الانسانية في اتجاه نشر السمو والعدالة وتهذيب النفوس

في هذه الورقة البحثية نحاول الوقوف على ما يمكن مدارسته من البعد الايديولوجي المتجلي في الفن الروائي علاقته بالتطرف الفكري أو الديني الذي انتشر في المجتمع العربي متخذاً أشكالاً متعددة إذ تناول هذا البحث البعد الايديولوجي في روايتي أفاعي النار و عشيق المترجم فقد اعتمدت الروايتان على تقنية تعدد الاصوات اعتمادا كبيرا وقد تولد عن ذلك اختلاف الايديوجيات التي تمثلها الشخصيات ناهيك تأثير ذلك في البناء الفني لهما والذي ظهر من خلال اللجوء الى تقنيات مثل المنولوج الداخلي والحوار والتذكر وغيرها

منهج الدراسة : ان المنهج الاجتماعي هو الانسب لتحليل البعد الايديولوجي في الفن الروائي من أجل الوقوف عند الايديولوجيات المختلفة ولفهم القيم الانسانية الاجتماعية المتجلية داخل العمل الروائي وبيان العلاقة القائمة بين العمل الروائي والبيئة التي ينشأ منها بوصف الادب نشاط اجتماعي لكن بمنظور فني.

المطلب الأول

التعريف بمصطلحات البحث : التطرف , الايديولوجيا

أولاً - التطرف :. قبل التعريف بدور الفن الروائي في مواجهة الطرف لابد من الوقوف على مفهوم هذا المصطلح الذي عدُّ الحاضنة الاولى للارهاب فقد عرف بعدّة تعاريف منها بأنه : لخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع وتبني قيم ومعايير مخالفة لها أو هو اتخاذ الفرد أو الجماعة موقفا متشددا إزاء فكر قائم على أيديولوجيا أو قضية يحاول أن يجد له مكان في بيئة هذا الفرد أو الجماعة وقد يكون التطرف الديني

ايجابيًا يتمثل بالقبول التام لهذا الفكر أو سلبيًا يتمثل بالرفض التام له ويقع حدّ الاعتدال في منتصف المسافة بين القبول والرفض[١] وقد شهدت المجتمعات العربية التطرف الديني والفكري الذي تولد عنه تطرف سياسي واجتماعي إذ ان المفكرين العرب ممن حملوا من جهتهم أفكار وايديولوجيات الغرب من جهة والشرق من جهة أخرى رغم أن مثل هذه الأفكار أصبحت غير نافعة بعدما اختفت منذ عقد التسعينات من القرن العشرين بينما تمكنت من انتاج دكتاتوريات وأنظمة هي ليست جمهورية ولا ملكية لكنها تسير نحو حكم التوريث غير المشروع ضمانا لاستمرار النظام والمصالح الضيقة لأقلية غير صالحة تمكنت من السطو على ثروات وممتلكات العرب وحلت محل الاستعمار بغرس عقيدة وطنية مفبركة مبنية على الاقصاء والتهميش والولاء دون الوازع الديني أو الاخلاقي المنظمان للحياة حسب الكفاءة والاستحقاق النزيه [٢] فوقعت هذه المجتمعات ضحية تعاني من الفكر الايديولوجي المتطرف تحت تسلط الانظمة السياسية الجائرة

ثانياً - مفهوم الايديولوجيا :.

لغة : لو عدنا الى أصل المصطلح لوجدناه كلمة يونانية تتألف من شقين : الأول idea وتعني الفكرة والشق الثاني logos وتعني علم فتصبح الترجمة الحرفية علم الافكار [٣] أما أصلها في الثقافة العربية فتعني منطق الافكار الأدلوجة الفكروية الفكرانية العقيدة الفكرية هذا فضلا عن تعريفات عديدة تناولت جانبًا أو أكثر من جوانب هذا المصطلح إلا أن التعريف الأكثر تداولًا هو الذي يحدَّد الايديولوجيا بأنها : النسق الكلي للأفكار والمعتقدات والاتجاهات العامة الكامنة في انماط سلوكية معينة وهي تساعد على تفسير الأسس الاخلاقية للفعل الواقعي وتعمل على توجيهه [٤] تعتبر كلمة الايديولوجية كلمة دخيلة على جميع اللغات الحية فهي – لغويًا – عند الفرنسيين علم الافكار لكنها لم تحتفظ بهذا المعنى اللغوي حيث استعارها الالمان فضمنوها معنى آخر ثم رجعت الى الفرنسيين فأصبحت دخيلة عندهم وإذا كان هذا المصطلح لم يثبت مفهومه لدى الغرب المؤسس له فليس غريبًا إذن أن يعجز الكتاب العرب عن ترجمته بطريقة مرضية ومع هذا اعتبروه منظومة فكرية وعقيدة ذهنية وهي مسميات تشير الى معنى واحد فقط من معانيها لأنه مصطلح يقبل الانصهار في قوالب مختلفة سياسية واجتماعية وفلسفية [٥]

يعدّ ديستوت دي تراسي ١٧٥٤-١٨٣٦ أول من صكَّ هذا المصطلح في عصر التنوير الفرنسي في كتابه عناصر الإيديولوجية وهو يعني بالايديولوجيا علم الافكار أو العلم الذي يدرس مدى صحة او خطأ الافكار التي يحملها الناس أي تلك التي تبنى

منها النظريات والفرضيات التي تتلائم مع العمليات العقلية لأعضاء المجتمع وقد انتشر استعمال هذا الاصطلاح بحيث أصبح لا يعني علم الافكار فحسب بل النظام الفكري والعاطفي الشامل الذي يعبر عن مواقف الافراد من العالم والمجتمع والانسان[٦] فمثلا عندما يدرس الباحث ايديولوجيا عصر من العصور فإنما يدرس الافق الذهني الذي كان يجسد فكر الانسان في ذلك العصر [٧] فهي من الالفاظ التي توجد لها مفاهيم متعددة باختلاف الأبعاد الفكرية التي يراها الباحث والمجال الذي يعمل فيه سواء أكان سياسي أم ثقافي او اقتصادي

لقد كان لأساليب التحقير والتهكم التي عانتها الايديولوجيا - كمصطلح التصق بأصحاب الفكر البعيد عن الحقيقة - نتائج سيئة نقلت المفهوم نقلة عكسية من الايجاب الى السلب حيث صار أوهامًا تخفي الحقائق التأريخية وصار الفكر الايديولوجي عبارة عن تأملات لا واقعية تناقض الوقائع الخارجية واختلفت المفاهيم بين عديد الفلسفات في تحديد مقياس الفكر وآليات دراسته وعاد مفهوم الايديولوجيا ليرتبط بمعاني الدونية والتفاهة [٨]

إلا أن الايديولوجيا «على الرغم من ذلك - استطاعت أن تحتل مكانًا محايدًا في أغلب معاجم الدنيا بصرف النظر عن دلالاتها الفلسفية فهي تستعمل الآن استعمالًا شائعا بمعنى أكاد أصفه بأنه مهون ومطلق لا يخرج عن كونه منهجًا فكريًا أو نظرية عامة فيها يجب أن تكون عليه حياة جماعة أو مجتمع أو نظرة عالمية أو إدراك عالمي [٩] إذ قدمها علماء الاجتماع على اعتبارها رؤية شاملة للحياة وللمعتقدات وللخبرات الانسانية وبناء المجتمعات قبل أن نركز على تعريف الايديولوجيا في الفكر الماركسي على اعتبار أن الاخير شهد ثورات فكرية عرفت نظرياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والادب [١٠]

ويطرح الناقد لوسيان غولدمان أفكاره التي بلورها في رؤية العالم في نظريته التي أنشأها من المزاوجة بين النزعة البنيوية والنزعة الاجتماعية بتحوليهما الى تركيبة منهجية معرفية جديدة هي البنيوية التكوينية غير أن رؤية العالم لم تكن وليدة البنيوية التكوينية تحديدا ولكنها وجدت عند عديد الفلاسفة والمفكرين الذين تطرقوا الى علاقة الانسان بالفكر وبالواقع [١١]

علاقة الخطاب الايديولوجي في النص الروائي

عادة ما يطرح الأدباء وجهات نظرهم حول قضايا معينة عبر اجناسهم الادبية وعندئذٍ تتجلى العلاقة بين الأدب وايديولوجيا الأديب او مجتمعه لذلك فإن القارئ يستطيع التعرف على المعتقدات الاجتماعية المنتمية الى طبقة معينة التي

يطرحها الكاتب في نصه

إن علاقة النص الروائي بالايديولوجيا تكمن في أن الايديولوجيا تعدّ مكونًا أساسيًا من مكونات النص فهي المادة الأولية لأي ابداع أدبي فلا يمكن أن يتم انتاج نص روائي إلا خلال ايدلوجية الكاتب فـ ليس هناك جنس أدبي آخر قادر على حمل الايديولوجيات المختلفة والمتناقضة غير الرواية لاتساع فضاءها وزمنها وشخصياتها وبالتالي كسب الروائي مساحة أوسع وأكبر لبسط ايديولوجياته وايديولوجيات المجتمع السائدة أو إضمارها مثلما يريد فيراوغ المتلقي بين السطور والفراغات وهكذا تصبح الرواية منتجة للايديولوجيا ظاهرة أو مضمرة لأن الروائي لا يفصح عنها كلها في النص صراحة فقد يخفي بعضها لكنها تبقى تتحرك بسرية وانسيابية بين الايديولوجية المصرحة [١٢] كما إن الرواية بوصفها فناً أدبياً إنسانياً فإنها تطرح ايديولوجيا واحدة أو ايديولوجيات متعددة ويظهر ذلك جليًا من خلال مضمونها والصياغة الفنية التي يستخدمها الاديب في روايته ولذلك فإن الكاتب المبدع لا يصرح مباشرة بأيديولوجيته من خلال الرواية وإنما تكون الايديولوجية أو الايديولوجيات المتصارعة مبثوثة في ثنايا الرواية من خلال تحليل الرواية واحداثها وشخصياتها وعلاقاتها [١٣] كما ان الاديب» الذي يملك موقفا ايديولوجيا معينا يواجه تحديًا صعبًا يتمثل في قدرته على إقامة توازن بين الايديولجيا ومتطلبات الصياغة الأدبية , فالأديب الناضج هو الذي يستطيع أن ينشئ علاقة صحيحة من الانسجام بين الايديولجيا والأدب وتلك من صميم مهمته [١٤]

المطلب الثاني

تجليات أنماط التطرف في الروايتين

أولاً :. التطرف الديني :. يشير الجذر اللغوي لمفردة التطرف الى الوقوف في الطرف بعيدًا عن الوسط وأصله في الحسيات كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو الجلوس او المشي ثم انتقل الى المعنويات كالتطرف في الدين او الفكر او السلوك [١٥] بينما يشير معناه الاصطلاحي الى تجاوز حدُّ الاعتدال الى الافراط أو المغالاة الفكرية أو السلوكية التي تتجاوز حدُّ الاعتدال الذي شرعه الله ورسوله [١٦] وبهذا المعنى يشير المصطلح الى معانٍ منها الشدة او المبالغة او الافراط او المغالاة والذهاب في اي موضوع او في اي سلوك الى اقصى الاطراف او الذهاب الى أبعد الحدود او الوصول الى نهاية الطريق او الى نهاية الطرف الآخر أو البلوغ الى الدرجة القصوى في السلوك او في الاتجاهات والعقائد والآراء والافكار واتخاذ الاجراءات المتطرفة [١٧] فالتعصب للرأي تعصبًا لا يعترف معه للآخرين بوجود وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له

برؤيـة واضحـة لمصالـح الخلـق ولا مقاصـد الـشرع ولا ظـروف العـصر ولا يفتـح نافـذة للحـوار مـع الآخريـن وموازنـة مـا عنـده بمـا عندهـم [١٨]

ولعـل أدق تعريـف للتطـرف هـو اتخـاذ الفـرد موقفـا يتسـم بالتشـدد والخـروج عـن الاعتـدال والبعـد عـن المألـوف وتجـاوز المعايـير الفكريـة والسـلوكية والقيـم الاخلاقيـة التـي حددهـا وإرتضاهـا افـراد المجتمـع [١٩] وهـذا التجـاوز لحـدُّ الاعتـدال نسـبي إضـافي يختلـف مـن مجتمـع إلى آخـر وفقـا لنسـق القيـم السـائد أن يكـون مألوفـا في مجتمـع آخـر فالاعتـدال والتطـرف مرهونـان بالمتغـيرات البيئيـة والحضاريـة والثقافيـة والدينيـة والسياسـية التـي يمـر بهـا المجتمـع [٢٠]

ومـن تجليـات التطـرف الدينـي في روايـة أفاعـي النـار وفهـم المتطرفـين المغلـوط للنصـوص المقدسـة **كقـول الكاتـب لقـراءة والكتابـة لوثـت عقـل اختكـم فتيـات المدرسـة يتناقلـن مـا تكتبـه عـن الحـب وعـن اللـه واصبحـن يتداولـن آراءهـا عـن ضرورة تحـرر المـرأة مـن سـلطة زوجهـا أليـس الرجـال قوامـين عـلى النسـاء أختكـم تريـد مخالفـة مـا أمرنـا بـه رب العالمـين** [٢١].

تظهـر أيديولوجيـة التطـرف الدينـي في فهـم النـص القـرآني مـن قبـل الشـخصيات المتطرفـة المتمثلـة في أخـوة بارعـة في تفسـير القوامـة عـلى النسـاء إذ جـاء تفسـيراً مغايـراً لحقيقـة النـص إذ أن حـالات الاغـراق الشـديد في الأخـذ بظواهـر النصـوص الدينيـة عـلى غـير علـم بمقاصدهـا وسـوء الفهـم لهـا , قـد يصـل بالمـرء الى درجـة الغلـو المنكـور في الديـن[٢٢] وهـذا مـا تجـلى في النـص الروائي السـابق في تفسـير المقصـود مـن الحكـم الشرعـي ليـس السـيطرة والفـرض والتسـلط وإنمـا كان الرعايـة والعنايـة وتحمـل النفقات الماديـة فالنـص بـين الموقـف الايديولوجـي الفكـري المتطـرف ضـد المـرأة وسـلب حقهـا في التعليـم والحيـاة ولم يتكـفِ المتطـرف بسـوء تفسـير النـص المقـدس وإنمـا يـرى إن القـراءة والكتابـة هـي تلـوث للعقـل فالجهـل مـن وجهـة نظـره الصـواب لحمايـة المـرأة مـن التحـرر وابقاءهـا تحـت سـلطة الرجـل بذريعـة القوامـة المذكـورة

وفي مواجهـة هـذا الفكـر المتطـرف تقـف شـخصية الاسـتاذ عـلي بـن محمـود القصـاد الروائيـة الداعيـة الى مواجهـة ايديولوجيـا التطـرف بقولـه **مـا فعلتمـوه بحـق بارعـة جريمـة دعوهـا عـلى الاقـل تكمـل دراسـتها سـليم المشـاي لا يعـرف مـن الديـن الا مـا يـراه هـو ديننـا أكـثر وعيًـا واكـثر سـماحة مـن عقـل هـذا المنغلـق اسـتل اخوهـا مسدسـه وصوبـه نحـوي غاضبـا مـن نطقـي لاسـمها ولمـا تفوهـت بـه لكـن شـيخ المسـجد وقـف بينـي وبينهـم يحلفـه باللـه بـأن يعيـد المسـدس الى مكانـه** [٢٣]

النـص الـروائي رسـم مشـهدا سـينمائياً بين فيه التصـادم الفكـري لإيديولوجيات الشـخصيات المختلفـة الـذي تطـور الى اصطـدام واقعـي

فموقف الدفاع ضد التعصب تجلى واضحا ما فعلتموه بحق بارعة جريمة فاضحا أفعال المتطرفين التي تمنع حق المرأة في التعلم كما تعدُّ هذه الجماعة إن ذكر اسم المرأةً من المحرمات عندهم فمجرد نطقه لأسمها يستدعي اشهار السلاح ثم بيان سماحة الدين الاسلامي البعيد عن الافعال السلوكية للمتطرفين المدعين للتدين

كما تظهر ايديولوجيا التكفير كأشد انماط التطرف في قوله **إعلموا أنه ليس من الحرية أن ترث الايمان أو الكفر من أبويك إن الحرية بموجب قول من شاء هي ان يقودك العقل الى الايمان أجل أيها الفتيان العقل وحيث إن العقل هبة من الله للانسان فهو لا يمكن أن يدل أحدا على الكفر قلت بثقة جمة لكن المشيئة بموجب الآية , تقود الى الكفر أيضا , فهل المشيئة تخالف العقل** [٢٤]

ان الخطاب الروائي الحامل لايديولوجيا الاتهام بالكفر والخروج عن الدين جاء بوصفه حجاجا من قبل المتطرفين مستدلين بآيات المشيئة من شاء مفسرين تلك النصوص بما يلائم اعتقادهم الفكري في مقابل ذلك يذكر الكاتب موقف الضد من التطرف في قوله **فلا يكفي أن تقول آمنت ثم ترتكب ما يحلو لك ظنا أن ايمانك يستر خطاياك قلت وأنا أتبعه لكن الدين أمور أخرى عبادات وصلوات** [٢٥] من خلال إقامة الحوار بين الشخصيات الروائية المختلفة يقدم وجهات النظر العقائدية التي تخص الايمان والكفر

ومن انماط التطرف الديني التطرف الفقهي ما جاء في رواية عشيق المترجم في قوله **تعلم يا بني أن فقهاء الدولة العثمانية ومفتيها لا يبحيون للمسلمين السفر الى ما يسمونه دار الكفر ولا يقبلون اقامة المسلم بين ظهراني المشركين ولما كان والدك شديد الحرص على ايفادك الى بلاد الفرنجة مع هذه البعثة الطبية لتعلم اللغات ومتلهفا لقيامك بترجمة كتب المعرفة الى العربية** [٢٦]

ان اختلاف الهوية الدينية شكل حاجزًا اجتماعيًا حال دون تحقيق غايات البطل في الوصول الى ما يصبو إليه مما دفعه الى التحايل للوصول الى مبتغاه فالحكم الفقهي المتطرف الصادر عن فقهاء الدولة العثمانية لا يسمح للمسلمين بالسفر الى بلدان غير اسلامية والاقامة بينهم ويسعى الكاتب الى ذكر تعدد الايديولوجيات المتطرفة - المعتدلة إذ نجده في الوقت ذاته يجسد موقوف شخصية الأب المناهضة للفكر المتطرف **ولما كان والدك شديد الحرص على ايفادك الى بلاد الفرنجة** فهذه الشخصية مثلت الوقوف في وجه ايديولوجيا التطرف الديني الذي أكد النص الروائي المقتبس على مناهضته والوقوف في وجهه

الفكر المتطرف هو نتيجة للبيئة التي يولد منها وغالبا ما تتسم بالجهل

والتخلف والفقر والايمان بإيديوجيات خرافية ومعتقدات بالية عفا عليها الدهر في قوله **فيرى أن ما يحدث هو عقاب إلهي سببه بعد الناس عن الدين فرأى أن على أهل القرية أن يلتزموا المساجد ويدعوا الله أن يجنبهم هذه المحنة** (٢٧) النص الروائي تكشف عن ايديولوجيات متطرفة تجلت في الرجعية فشخصية القميحي المتطرف الذي كان يدعوا أهل القرية للاعتكاف في المساجد وعدم مبارحتها داعين الله سبحانه وتعالى أن يرفع عنهم البلاء فالفكر المتطرف يسعى الى تخويف الناس من العقاب الالهي متناسيًا الرحمة لإلهية

التطرف المظهري: يعتمد هذا النمط على وصف الكاتب لمظهر المتطرفين من حيث ارتداء ملابس معينة تظهر التدين المزيف بإطلاق لحيته وتقصير ثوبه كما جاء في قوله **ثمة شاب أسمر يرتدي ثوبًا قصيراً رمادي اللون ويعتمر قبعة بيضاء أشارت لي ملامحه أنه من دول شرق آسيا رفع يده طالبا أن يسأل عن أمر ما لماذا يتنامى الارهاب في العالم العربي ولماذا أصبح الاسلام يوصف بأنه دين الارهاب** (٢٨)وتجلى هذا النمط من التطرف في قول الروائي **سمع صوت مكبرات المساجد الثلاثة تنادي للصلاة ورأى من بعيد عددا من الناس يؤمونها بينهم رجال بثياب قصيرة ولحى طويلة** (٢٩)

اتخذ الكاتب وصف المظهر الخارجي للشخصية وسيلة للتعبير عن إيديولوجية معينة تمثلت في الفكر المتطرف فهذا الوصف تكفل بإيصال المراد لاسيما وإن صورة هذه الفئة معلومة عند المتلقين فلم تكن هذه الهيئة مغيبة عن ذاكرة المتلقي بفعل المعاصرة لأحداث التطرف المعاش

ولم يكتفي الكاتب بوصف الزي الذي يرتديه المتطرف عاكساً إيديولوجية فكرية معينة وانما قام بذكر وصف لصوت المتطرف **أتى صوت محمد القميحي زاعقا يمسد لحيته**

- **لنفترض أننا صدقنا أن هذا ابن القصاد فقد وجب قتله لأنه تنصر**
- **استدار نحو من تجمهروا يراقبون ما يحدث ثم خاطبهم**
- **ألم تروا الصليب الذي وشم على ظهره**
- **أتت أصوات متباينة وهابطة تؤكد أنها رأت شكل الصليب في ظهر ابن القصاد** (٣٠)

في هذا الخطاب الروائي الحامل لإيديولوجيا معينة يلمس القارئ سلوكيات المتطرفين منها علو الصوت صوت محمد القميحي زاعقًا بالإضافة الى تطويل اللحى يمسد لحيته فنجد الخطاب يرسم هيئة للنموذج المتطرف فكريًا الذي يكفر من يخالفه الرأي في قوله فقد وجب قتله لأنه تنصر فنرى المتطرف يصدر حكما بالقتل لأن

المقابل قد اعتنق الديانة النصرانية من وجهة نظره فيمكن القول بأن الأدب نتاج ايديولوجي أو الايديولوجيا نتاج أدبي سواء وذلك منتج النص الأدبي قبل انتاجه عليه أن يفكر ماذا ينتج وبعد هذا الانتاج نجده مزوداً بأيديولوجيا فهو يتضمنها كخطاب محمل بأبعاد معرفية ومنه يستحيل الفصل بين الأدب والايديولوجيا كونهما يشكلان بعضهما والايديولوجيا شكل ونتاج أدبي والعكس[٣١] إذ حملت البنية السردية فكراً ايديولوجيًا في تكفير الديانات الأخرى الم تروا الصليب الذي وشم على ظهره والصليب رمز للديانة المسيحية التي توازي الكفر والالحاد في نظر المتطرف

وبذلك يسند الى الفن الروائي مهام يؤديها بوصفه اتجاها مؤثرا في مواجهة التطرف كفكر وفعل من خلال صياغة هذا الفكر صياغة جمالية فنية وبالتالي تحدث المفارقة بين الجميل وهو السرد الروائي والقبيح هو الفكر المتطرف لذلك نستطيع القول أن للتطرف آثار واضحة منها التعصب والعنف الأمر الذي يؤدي الى مزيد من الصراعات التي تفكك المجتمع وتسهم بتدهوره وانحداره من الناحية الفكرية والعقائدية

التطرف الثقافي : نجد هذا النمط من التطرف يتجلى في مفهوم العيب من وجهة نظر الجماعات الدينية المتطرفة ويتضح هذا عبر موقف هؤلاء بعد ان قام ابن القصاد بتأليف كتاب **العيب والحرام** إذ قال عنه **لكن طروحاتي اخذت تزعج البعض خاصة الجماعات الدينية المتطرفة فبدأت تنهال على بريدي رسائل التهديد ورسائل أخرى فحواها شتائم لم ألق لها بالاً لكن الامر لم يمض بتلك البساطة فقد حذرتني سلطات الامن الفرنسية بإنني مستهدف من قبل جماعة متطرفة استاءت من كتابي العيب والحرام فأخبروني بضرورة اتباع احتياطات الامان كافة** [٣٢] الذي ثار غضب هذه الجماعة كما بين الكاتب ذلك في قوله **متذرعين تارة بالعيب الذي تحدث به الناس، وأخرى بالحرام الذي ما انفك سليم المشاي الحديث عنه** [٣٣] وكان هذا مدعاة للأنتقام منه منتهيا بهم الأمر الى تنفيذ عملية إرهابية في بيت ابن القصاد أدت الى تشويه وجهه إذ تحول على إثرها الى كائن آخر, في قوله **لكن المتطرفين عادة ما يجدون ثغرة ينفذون منها , فقد عدت ذات مساء الى بيتي ونمت لفرط التعب سريعا لأصحو بعد ستة أشهر لأجدني في المستشفى مشوها وبخلقة جديدة لا تمت الي بصلة أخبرتني السلطات الفرنسية أن من أضرم ذلك الحريق هو شخص ينتمي لتلك الجماعة المتطرفة يدعى يوسف النداح** [٣٤] ساعد الفكر المتطرف شخصية يوسف النداح على الانتقام من ابن القصاد الذي كان حبيبا لزوجته , فالدافع الشخصي كان

سببًا وراء تنفيذ العملية الإرهابية إلا أن المتطرف تذرع بإختلاف الايديولوجيات العقائدية الدينية

أيديولجيا الخرافة :

ومنه التطرف الاجتماعي العقائدي الذي جاء في نص الرواية **ألا ترى يا عبد الله أن الناس شارفت على أن تعبد ابن القصاد لاحظت ذلك وعرفت أيضا أن ابن القصاد غير راض عما يحدث فقد أقفل بابه بوجه كل من أتوا يتبركون به** (٣٥)

بين الكاتب الجهل الذي كان شائعاً عند بعض القرى الفقيرة البعيدة عن الحضارة الملتزمة بعقائد اجتماعية خادعة فالتبرك ويعني أخذ البركة من شخص معين وإن كان صالحًا من الانساق الثقافية الشائعة في المجتمعات الفقيرة وهو أمر رفضته الشخصية المفكرة المثقفة ابن القصاد حين أخذ الناس الالتفاف حوله بعد أن خطب بهم إذا جاء على لسانه **ما خلق الله الانسان الا ليعبده فالعمل عبادة والتسامح عبادة واحترام بعضكم بعضا عبادة فإنبذوا الغلواء في دينكم وحياتكم وتراحموا**" (٣٦)

فـ لخطاب المعتدل للشخصية الروائية جاء مبرهنًا بإقتباسات قرآنية إذ لم يكتف الروائي بتوظيفها في نصه وانما سعى الى أن يوحد بطريقة آلية بين هذه النصوص وبين قراءته وفهمه لها وبهذا التوحيد لا يقوم الخطاب الديني بإلغاء المسافة المعرفية بين الذات و الموضوع فقط بل يتجاوز ذلك الى ادعاء ضمني بقدرته على تجاوز كل الشروط والعوائق الوجودية والمعرفية والوصول الى القصد الالهي الكامن في هذه النصوص (٣٧) فالخطيب استطاع إن يظهر المقاصد الأخرى الكامنة في النص المقدس فالعبادة لا تقتصر على قيام الصلاة وأداء الواجبات وانما العبادة هي التسامح والاحترام والتراحم ونبذ الكراهية

وفي ختام هذا البحث لا يسعنا الا الوقوف وبيان عاقبة التطرف التي بينها الروائي في قوله **شاشة تلفاز لا تبث نشرات أخبارها سوى مشاهد من الموت في البلاد العربية وهي تحترق بنار الاقتتال والقمع وولادة جماعات متطرفة تزداد كل يوم شهوتها للدم ولجز الرؤوس من دون الامساك بالخيط الذي يمكن له أن يزيح الستارة عن زمن جديد كفيل بان يمنح البشر حق الحياة** (٣٨)

إذ صور الكاتب في النص السردي الحي مشاهد الاقتتال والدمار التي تعم البلاد العربية والتي كانت نتيجة للفكر المتطرف وعاقبة التعصب للإيديوولجيات فكرية عقائدية متزمتة اعتنقتها بعض الجماعات للوصول الى غايات بعيدة عن أصل التدين

النتائج

- إن ظاهرة التطرف التي طرحها البحث ليست قضية جديدة وانما تم البحث عنها في عدة بحوث مختصة ولكن الجدة تكمن في معالجة قضية التطرف من قبل الفن الروائي المعاصر
- اتخذ الكاتبان عمليهما الروائي غطاءًا لتوجيه الانتقاد الى ايديوجيات معينة تسود المجتمعات العربية
- كشفت الروايتان عينتا الدراسة سلوكيات المتطرفين الذين يتخذون التدين وسيلة لتحقيق رغابتهم وكشفت اقنعتهم المضللة اوضحت هذه الورقة البحثية الفرق بين الدين والتدين
- أثبت أن للفن الروائي دور إيجابي كبير في توجيه سلوك المتلقين وتهذيب نفوسهم للحد من هذه الظاهرة والارتقاء بالمجتمع
- كما بين البحث تعدد الايديولوجيات والثقافات والمعتقدات التي تتبناها المجتمعات في الواقع فهناك ايدلوجيات ايجابية وأخرى سلبية سعى الروائيان الى إيصالها للمتلقي

الهوامش:

١-التطرف الفكري والصراعات الايديولوجية من الصليبية الى الارهاب , بكار محمد , جامعة حسيبة بن بو علي / الشلف , مجلة مقاربات , , مج ٦ , عدد ٣ , ٢٠٢٠ ,١٩٧٩

٢ - م .ن :٤٠

٣ - المعجم الفلسفي , مجمع اللغة العربية , القاهرة , الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية , ١٤٠٣ هـ , ١٩٨٣ , ٢٩

٤ - مفهوم الايديولوجيا « مطالعة في تأريخ المصطلح ومعانيه ومجالات استعماله , خضر ابراهيم , مجلة الاستغراب , شتاء ٢٠١٧ : ٣٥٦

٥ - ينظر : مفهوم الايديولوجيا , عبد الله العروي , المركز الثقافي العربي , ط٥ , ١٩٩٣ , بيروت , ٩

٦ - مفهوم الايديولوجيا « مطالعة في تأريخ المصطلح ومعانيه ومجالات استعماله , خضر ابراهيم , مجلة الاستغراب , شتاء ٢٠١٧ , ٣٥٧

٧ - البعد الايديولوجي في روايتي موسم الحوريات وأبناء الريح وأثره في البناء الفني , حنين ابراهيم معالي , دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية , المجلد ٤٤ , العدد١ , عام ٢٠١٧٠٧ : ١٠٨

٨ - الكتابة والتشكيل الايديولوجي في الرواية العربية المعاصرة – دراسة نقدية أيديولوجية , السعيد عموري , إطروحة دكتوراه , جامعة الحاج لخضر – باتنة / كلية الآداب واللغات ٢٠١٢, ٢٠١٣ : ١٠

٩ - تشكيل النص السردي عند محمد مفلاح من خلال البعد الايديولوجي روايتا « عائلة من فخار , و « الكافية والوشام « انموذجًا , طريمة رقاب , اطروحة دكتوراه , جامعة قاصدي مرباح

– ورقلة كلية الآداب واللغات , ٢٠١٦-٢٠١٧, ٢١
١٠ - الكتابة والتشكيل الايديولوجي في الرواية العربية المعاصرة – دراسة نقدية أيديولوجية : ١١
١١ - المصدر نفسه : ٢٠
١٢ - تشكيل النص السردي عند محمد مفلاح من خلال البعد الايديولوجي روايتا « عائلة من فخار , و « الكافية والوشام « انموذجا , طريمة رقاب , اطروحة دكتوراه , جامعة قاصدي مرباح – ورقلة كلية الآداب واللغات , ٢٠١٦-٢٠١٧ , ٣١
١٣ - البعد الايديولوجي في روايتي موسم الحوريات وأبناء الريح وأثره في البناء الفني , حنين ابراهيم معالي , دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية , المجلد ٤٤ , العدد١ , عام ٢٠١٧٠٧ : ١١٠
١٤ - البعد الا يديولوجي في الرواية الجزائرية رواية الحريق لمحمد ديب – أنموذجا سليم بتقة مذكرة ماجستير , جامعة محمد خضير بسكرة , كلية الآداب والعلوم الانسانية , ٢٠٠٥-٢٠٠٦ , ٤
١٥ - التطرف الديني وأثره على التماسك الاسري , كميلية عواج , مذكرة ماستر , جامعة الحاج لخضر – باتنة ,٢٠١١, ٣٧
١٦ - التطرف الديني المعاصر , تعريفه , وأسبابه ومظاهره ومناهج علاجه , عالية بنت احمد الغامدي , مجلة كلية الدراسات الاسلامية بالاسكندرية , ع ٣٩ , مارس ج١ ٣٥٤
١٧ - التطرف الديني وأثره على التماسك الاسري ٣٧
١٨ - المصدر نفسه : ٤٠
١٩ - التطرف الديني المعاصر , تعريفه , وأسبابه ومظاهره ومناهج علاجه : ٣٣٥
٢٠ - ينظر : المصدر نفسه : ٣٥١
٢١ - رواية «أفاعي النار» : ١٢٩
٢٢ - التطرف الديني وأثره على التماسك الاسري : ٤٠
٢٣- رواية أفاعي النار : ١٣١
٢٤ - رواية عشيق المترجم : ١٠٤
٢٥ - المصدر نفسه : ١٢٣
٢٦- المصدر نفسه : ١٣٨
٢٧ - رواية أفاعي النار : ١٨٤
٢٨ - المصدر نفسه : ١٥٩
٢٩ - رواية افاعي النار : ٧٧
٣٠ - المصدر نفسه : ١١٠
٣١ - حضور الايديو لوجيا في الخطاب الأدبي دراسة في كتاب الأدب والايديولوجيا لعمار بلحسن , عنترة عمير مذكرة ماستر جامعة العربي التبسي تبسة , كلية الآداب واللغات , ٢٠١٨-٢٠١٩, ٦١
٣٢ - رواية أفاعي النار : ١٥٠
٣٣ - المصدر نفسه : ١٢٢
٣٤ - رواية افاعي النار : ١٥٠-١٥١
٣٥ - المصدر نفسه : ١٨٤
٣٦ - المصدر نفسه : ١٦٩
٣٧ - نقد الخطاب الديني : نصر حامد ابو زيد , مؤسسة هنداوي , ١٩٩٢ , ٢٦
٣٨ -رواية افاعي النار : ٢٥